المواطنة والتعايش اللغوي

Citizenship and linguistic coexistence

1 جمال عجال*

مخبر تعليمية اللغة العربية وتحليل الخطاب

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، (الجزائر)، djameleudjal8@gmail.com

2 د. معمر عفاس

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، (الجزائر)، mamar02@gmail.com

تاريخ الارسال 2022/10/24 تاريخ القبول 2022/12/19 تاريخ النشر2022/12/28

ملخص:

هذا البحث عبارة عن دراسة لقضية المواطنة والتعايش اللغوي وموقف صالح بلعيد منها، إذ نعتبرها من القضايا الاجتماعية والثقافية واللسانية التي أسالت الحبر الكثير، خاصة في ظل عصر الرقمنة والتكنولوجيا والدعوة إلى ترسيم المازيغية ودسترتها كلغة.

وهذا الموضوع من ضمن مباحثي في أطروحتي للدكتوراه، حيث تطرقت إلى تحديد المفاهيم اللغوية لغة واصطلاحا، وكذا عرجت على مقومات المواطنة وواقعها في الجزائر وأهم الجهود المبذولة من الدولة والمختصين في اللغة من النخبة والمجتمع المدني للحفاظ على الهوية الوطنية ومقوماتها.

الكلمات المفتاحية: المواطنة اللغوية؛ التعايش اللغوي؛ المازيغية؛ اللّغة العربية؛ الهوية الوطنية؛ صالح بلعيد؛ اللّغة الرسمية.

Abstract:

This researsh is a study of the issue of citizenship and liguistic coexistence and saleh belaid position on it. As we consider it oneof the social. Cultural and linguistic issues that have inked a lot. Espacially in light of the age of qirtisation and technology and demarcate and constitutionalise amazighas a language. This topics of my doctoral thesis. Where i dealt with defining linguistic concepts language and terminology. As well as the components of citizenship and its reality in algeria and the most important efforts made by the state and language specialists from the elite and civil society to preserve the national identity and its components.

Keywords: liguistic citizenship; liguistic coexistence; Amazigh; Arabic language; National Identity; Saleh Belaid; Official Language.

مقدمة:

كُتب على مدخل إحدى الجامعات الصينية "مفاتيح العلوم مصطلحاتها"، من هنا كان لزاما علينا الاهتمام باللغة العربية لتحقيق الرقي العلمي في جميع المجالات، أما الواقع المعيش في الجزائر عبارة عن لغة فصحى يقابلها لهجات عامية متعددة حات دون انتشار العربية في الوسط الاجتماعي، من هذا المنطلق يرى المهتمون بالتراث

* المؤلف المرسل

المازيغي ضرورة توطين المازيغية وترسيمها كلغة رسمية ثانية بعد اللغة العربية في الجزائر، هذا الجانب الأول من القضية اللغوية في الجزائر، أما الشق الثاني من هذا البحث يتناول التعايش اللغوي بين اللغة العربية الفصحى والمازيغية كلهجة، وعليه تطرقت إلى مفهوم التعايش اللغوي لغة واصطلاحا، كما لنا عودة إلى التاريخ اللغوي وظهور التعصب والصراع اللغويين، وهذا ما فعله المستعمر من فتنة بين البربر والعرب لإشغالهم عن الثروة وتفرقتهم، ثم تأتي مرحلة الطبقة المثقفة من البربر التي دعت إلى الاهتمام بالتراث المازيغي من خلال توطين المازيغية وترسيمها في الجزائر وكذا المطالبة بتدريسها في المدارس الجزائرية، وقد اخترت الأستاذ صالح بلعيد كباحث لغوي أمازيغي الأصل وعربي اللسان باحث في المجالين العربي والأمازيغي، وفي الأخير أتناول الجهود التي بذلها المؤسسات اللغوية في الجزائر لتحقيق السلم والأمن اللغويين وما هو واقع التعايش اللغوي اليوم.

1.تعريف المواطنة لغة واصطلاحا[1]:

1.لغة: وَطَنَ: من مادة[و. ط. ن]: وهو فعل ثلاثي لازم، وَطَنْتُ، أَطِنُ، طِنْ، مصدره، وَطْنٌ، "وَطَنَ الْمُهَاجِرُ بِالْبِلاَدِ:"وَثَنَ، وَصَدَ، أَقَامَ بِهَا، أَلِفَهَا .وَطَنٌ، جمع: أَوْطَانٌ، وطن: "اِسْتَقَرَّ فِي وَطَنِهِ" : مَنْزِلُ إِقَامَةِ الإِنْسَانِ، وُلِدَ فِيهِ أَمْ لَمْ يُولَدْ .يقول ابن الرومي: وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ أَلاَّ أَبِيعَهُ **وَأَلاَّ أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكا

2. اصطلاحا: من الممكن أن يري البعض أن المواطنة من التعريفات الهجينة أو قد يبدو غريبا على البعض الأمر الذي يعود إلى عدم وعي البعض به، وهنا يصبح الأمر مسؤولية المؤسسات في المجتمع المدني وعليها أن تعتني بذلك الأمر وأن تجعل ذلك المفهوم واضح أمام الجميع، ولا يوجد مجال أمام أبناء الوطن الواحد سوى البناء والعطاء والمواطنة تتعدى في مفهومها حاجز الدولة ولابد من التأكد من أن الأرض هي الموطن الأساسي لمواطنيها ووعي المواطنة يسهل كثيرا على المواطنين العيش عيشة كريمة داخل الوطن الواحد، وبالتالي فالمواطنة اللغوية هي الاعتراف بلغة ما من قبل الساكنة (المواطنين)، فهم يستعملونها في مختلف مجالات الحياة، خاصة التعليم والإدارات، قد تتميز المواطنة اللغوية بالكثير من الخصائص والتي تتمثل في الآتي:

* منح اللغة الصفة الرسمية داخل الدولة التي يعيش بها الأشخاص الناطقين بها.
* كما أنها تتمتع بكل الامتيازات التي تجعلها تفي بالغرض التواصلي والعلمي والتعليمي.
* كما تعمل على جعل المواطنين يعيشون تحت قانون واحد في البلاد ويدينون بدين واحد.
* أن يتم تحديد كافة المسؤوليات التي تقع على المواطنين في الحفاظ على الوحدة اللغوية ونبذ الدخيل اللغوي.
* تحقيق مبدأ المساواة بين جميع أفراد المجتمع في التعليم وتوحيد البرامج التربوية.

2.المواطنة اللغوية كما يراها صالح بلعيد:

يعد صالح بلعيد من بين الباحثين الجزائريين الذين كان شغلهم الشاغل الهُوية الوطنية وسبل المحافظة على مقوماتها، ومجابهة كل ما يحيط بها من مخاطر تنخر المجتمع الجزائري ضاربة إياه في ثقافته التراثية، فكان كثير البحث

في هذه القضية بالذات وقد أسال فيها وعليها الحبر الكثير، لقد عكف في البحث عن الحقيقة كونه ناقدا بارزا في علوم اللغة وفي مختلف الألوان الأدبية، وصار معروفا في دور النشر، وعلى رفوف المكتبات تنوعت مواضيع مؤلفاته القيمة سواء في جانبها العلمي أو الاجتماعي، خاصة تلك التي عالج فيها قضايا اللغة العربية، كما نجد له اهتمامه باللغة الأمازيغية، محاولا إبعادها وإخراجها من كواليس الساحة السياسية، وجعلها من بين القضايا المهمة في مقومات الشعب الجزائري، وإدخالها عالم البحث والتطوير والمعالجة الآلية ضمن مخابر البحث والتحليل الصوتي، فمثابرته وإصراره على الوصول إلى الغايات المرجوة جعل منه باحثا لا ينتظر الثناء والشكر او المجاملة من الآخرين، فهو مقتنع دائما بأنه سيصل إلى بر الأمان محافظا على اللغة العربية أو مؤسسا للأمازيغية، وله سمة الجمع بين البحث العلمي والإبداع الأدبي، له بصماته الأدبية التي تجعل القارئ يتوق إلى مزيد من العناوين التي ألفها صالح بلعيد، فهو كاتب مقامات أدبية على نهج الهمذاني والحريري، فهذا الباحث ليس مدلل أبيه وأمه وإنما صال وجال وجد وكد في سبيل الوصول إلى كونه باحثا، كيف لا وهو ابن مدينة البويرة التي تعلم على شيوخها وعلمائها، فهم المشذاليون (من منطقة إمشذالن) الذين ساهموا بطريقة أو بأخرى في بناء الحضارة الإسلامية وإثرائها بمختلف العلوم لعدة قرون، ونذكر على سبيل المثال العلامة ناصر الدين المشذالي الذي أعجب به ابن خلدون في تجديده لطرائق تدريس اللغة العربية وعلومها و وعلوم الدين، فالمحيط الذي ترعرع فيه صالح بلعيد جعل منه مهتما بالجانب الثقافي في شقه اللغوي، وهذا سعيا منه لضمان أمنا لغويا يواجه اللحن والفساد على الألسن، ويواكب ويحافظ على كينونة اللغة العربية والأمازيغية على حد سواء.

إن المتأمل والمتتبع للمسار العلمي لصالح بلعيد ليجده مفعما بالدفاع عن المقومات الوطنية، التي تتجلى من خلال خدمته العربية وغرس مبادئ ومقومات الهوية الوطنية، فكل أعماله ومؤلفاته لا تخلو من الدعوة إلى ترشيد السياسة اللغوية وجعل اللغة العربية رأس مال الثقافة والوحدة الوطنية، وجعل اللهجات الموجودة على المستوى الوطني رموز تعزز وتضاف إلى القيم الوطنية الأصيلة، فالمواطنة بصفة عامة حسب صالح بلعيد هي ذلك التعايش السلمي بين أبناء الوطن رغم اختلاف لهجاتهم مدافعين عن اللغة العربية كمظلة واحدة تضمن لهم بقاء لهجتهم العرقية، فاللغة المشتركة حسبه هي اللغة العربية وهي اللغة الجامعة، ولتحقيق صفة المواطنة بين الجزائريين دعا صالح بلعيد إلى تحقيق مجموعة من الغايات والصفات والسمات والمزايا للوصول إلى الغاية المرجوة، نذكر بعضا منها مع قليل من الشرح والتحليل حسب ما يراه صالح بلعيد.

3.أهم مبادئ المواطنة اللغوية:

وهي تلك الأسس والمقومات العرقية والعرفية والدينية والثقافية التي يكتسيها المجتمع باختلاف طبقاته وأطيافه، فتجعل منه لحمة واحدة تتفق في الأمور كلها رغم اختلاف اللغة واللهجات، فالتواجد على في رقعة جغرافية واحدة يجعل من الفرد الجزائري يتحلى بهذه القيم وروح الوطنية التي تؤهله للدفاع عن دينه وأرضه وعرضه كما شهدته ثورة التحرير من بطولات وتحرير الجزائر، من بين هذه المبادئ التي تكرس الوطنية نذكر:

أ. الأولوية للعربية باعتبارها اللغة المشتركة أو الجامعة:

ويقصد بها بلوغ الذروة القصوى في الاهتمام باللغة العربية، والقدسية بيننا هي تعظيم الشيء ولا تكون إلا في الموجودات الربانية والروحانية، كتقيسنا للقرآن الكريم، وبيت المقدس، وبما أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وهو الكتاب المقدس فلها منا كل الاهتمام والتطوير والمحافظة والتعليم المتقن والمبرمج وفق ما يساير التكنولوجيا والمعلوميات في العصر الحاضر، وصالح بلعيد من بين الذين اتصفوا بهذه السمة، فهو يقدس اللغة العربية ويحبها حتى النخاع رغم كونه أمازيغي اللهجة وهذه مفارقة كبيرة تحسب له كشخصية علمية وطنية أحب لغته الثانية (العربية)، محاولا بذلك تحقيق الشمل بين الجزائريين وبذل كل المجهودات التي من شانها خدمة العربية والحفاظ عليها، فوحدة التراب الوطني والتحام الجزائريين يتوقف على التفافهم حول لغتهم والتي هي اللغة المشتركة والجامعة، يقول صالح بلعيد: "الجزائر من دون العربية رجل أعمى ومن دون المازيغية رجل أعرج" فيمكن للأعرج أن يبصر ويرى النور ويرضى بالعرج في رجله ويعيش عادي، أما الأعمى فلا يمكنه ممارسة نشاطه الحياتي بشكل عادي فيصعب عليه ذلك فيبقى معتمدا على عكازه أو من يساعده في مشيه وقضاء حوائجه، كذلك الوحدة الوطنية لابد لها من العربية الراقية المتطورة ما يضمن ذلك، فالعربية والمازيغية مبدءان مهمان في لحمة الشعب الجزائري، فالقداسة للعربية بالدرجة الأولى، والاحترام للهجات بالدرجة الثانية فهذا التكامل قد يضمن ذلك الاشتراك التواصلي.

ترتقي الأمم وتزدهر انطلاقا من اهتمامها بشتى العلوم والمعارف التي تتماشى والاهتمام بالعربية وبمصطلحاتها العلمية المتخصصة، فالتقدم في العلوم يضمن الرقي العلمي الذي يؤهل اللغة إلى الرسمية ويجعلها رمزا من رموز الهوية الوطنية، ويحميها من الزوال والانقراض أمام اللهجات واللغات الأخرى.

لقد اختار صالح بلعيد عبارة اللغة الجامعة بهذا التركيب عنوانا لكتابه، وهذا ما نفهم من خلاله أنه على دراية تامة بأن هناك نوع من الشرخ اللغوي الذي يشتت المجتمع ويحايد بين الأفراد ويشجع على القبلية والجهوية اللهجية، فنخوته الاجتماعية وشخصيته العلمية والوطنية دفعته إلى التفكير في عواقب هذا الانحلال اللغوين ولا مفر من الالتفاف حول اللغة العربية التي قال عنها ذات يوم أنها الأقدر على استيعاب وتمثيل مختلف التحولات اللسانية والاجتماعية بصورة عامة، ولغة الضاد تجمعنا وهي لغة كل العصور، وإنه لا وحدة وطنية دون لغة وطنية جامعة، كما أنه لاسيادة وطنية دون دولة مركزية، هل كان آباؤنا على خطأ عندما تخلوا عن المازيغية لصالح العربية؟ و أن ثلاثة عشر دولة مازيغية بساكنتها اختاروا الإسلام دينا والعربية لغة، وحكموا أنفسهم وحافظوا على وحدتهم، فلماذا لم يعتمد ملوك البربر المازيغية/المازيغيات لغة دولهم بدءا من ماسينيسا ومن جاء بعده؟ لماذا لم يكتب القديس أوكستين كتبة بمازيغية من المازيغيات؟ فمن أجل الوحدة الوطنية واللغوية لتقبر لغتي وتفنى قريتي"[2].

وهذا يعتبر منعرجا في حياة صالح بلعيد العلمية، هذا لأنه صارح ضميره والمجتمع وأهل اللغة لما يجول في خاطره وفي سبيل الوطن والمواطنة، فهي حسبه تنطلق من الفرد لتعم المجتمع ومن اللغة لتشمل الدين والثقافات الهادفة، ويستحضرني ههنا شعر العلامة بن باديس حيث قال:

شـــــعب الجزائـــــر مســـــلم وإلى العروبـــــة ينتســـــب
مـــن قـــال حـــاد عـــن أصـــله أو قـــال مـــات فقـــد كـــذب[3]

هذا الكتاب يعالج السياسة اللغوية المنتهجة في الجزائر والوضع الذي آلت إليه العربية، وكل مواضيعه يتكلم فيها صالح بلعيد عن اللغة الجامعة وسماتها، فمن خلال العربية يؤكد صالح بلعيد في كل مرة أن" اللغة تعمل على تحقيق وحدة الأمة وتماسكها الاجتماعي، وتحقيق تساوي الفرص وتسريع وتيرة النمو ولهذا تفضل الكثير من الدول اعتمادها لغة رسمية، وتعمل على تطويرها والتعامل بها دون غيرها من اللغات، تفاديا لكل لبس ونفقات"[4]، وهذا هو الهدف الأسمى الذي يحمي المجتمع من الانحلال الفكرين ويحمي اللغة العربية من ضريراتها الأجنبية، وهذا من المبادئ الأساسية للغة الجامعة حسب صالح بلعيد، "فالدولة القوية هي التي تعمل على تجسيد اللغة الواحدة لا لغات كنفدرالية جهوية، والهدف هو لغة واحدة لمجتمع واحد، فالوحدة في الوحد اللغوي التراتبي، وهذا ما تفعله الدول المركزية التي لها السيادة، ومن هنا نرى الأمم المتقدمة في العصر الحاضر تولي لغاها القومية في التربية والتعليم كل الأهمية بغية عدم الوقوع في التشتت الاجتماعي فاللغة المشتركة (اللغة الرسمية) هي التي تُعتمد في التعليم وفي الإعلام وفي الإدارة وهذا كفيل بخلق الانسجام الجمعي"[5]، فلكل أمة لغتها بل لكل الأوطان ما تلتهجه فهي تدافع عن مقوماتها لاتصافها (اللغة أو اللهجة) بصفات اللغة الجامعة حتى الفرنسية في عقر دارها، والانجليزية والصينية، والفارسية في إيران وغيرها، فقد سخر صالح بلعيد كل وقته وقواه لخدمة العربية الجامعة في هذا الوطن، وهي تعاني آلام ضريرتها الفرنسية في عقر دارها منذ الحقبة الاستعمارية.

روج بعض الإعلاميين في وقت مضى أن صالح بلعيد من الذين يدعون إلى استعمال والتكلم باللغة الأجنبية على حساب العربية وهذا بطبيعة الحال طعن في صفاته العلمية، وهذا بعد تعقيبه على تصريح لويس جان كالفي (louis jean calvet) الذي عد اللغة العربية الفصحى كالأجنبية، ففي الجزائر تتساوى والفرنسية، وكان رد صالح بلعيد في معرض الكتاب الدولي حيث اعتبر العربية في وطنها ليست كالفرنسية وهي بعيدة عنها كل البعد، وهي اللغة الأم لكل الجزائريين بحكم تعميرها أزيد من خمسة عشرة قرنا، وهي لغة القرآن الكريم.

أما الفرنسية حسب صالح بلعيد فهي لغة المستعمر في الجزائر، التي لايزيد عمرها عن القرن ونصف القرن، وإن كانت اللغة الأولى بالنسبة للناطقين بالأمازيغية من أبناء هذا الوطن، فالعربية نشأ نوعا ما أجنبية عليهم إلا أنها سرعان ما تتحول إلى لغة أم بالنسبة إليهم عن طريق الاحتكاك بالناطقين بها أو عن طريق التعليم، وخير دليل على ذلك حسبه، أن الفاتحين لدول شمال إفريقيا يحضروا مترجمين من الأمازيغية إلى العربية وهذا لتقارب بين العربية والأمازيغية في بعض المصطلحات والمنطوقات وهذا ما لانجده في اللغة الفرنسية إذ يبعد كل البعد عن العربية، والانتقال منها إلى العربية والعكس لابد له من ترجمة و" لو سلمنا جدلا بهذا التعريف للغة الأجنبية

فستكون اللغة العربية أجنبية في جميع بلدانها الناطقة بها بما فيها السعودية أو دول الخليج العربي عموما باعتبار أن أبناءهم لا يتحدثون العربية أصلا باستثناء بعض من أطراف اليمن"[6].

تضمن اللغة الجامعة التواصل بين أفراد المجتمع ـ وهذا من مهامها ـ وتضمن كذلك الرقي الاقتصادي والمن السياسي، والحفاظ على الهوية الوطنية وهي أداة المعرفة وتوطينها كما أنها رمز الوحدة الوطنية.

في هذه النقطة بالذات يتفق صالح بلعيد مع مع عبد العلي الودغيري في "أن التماسك الاجتماعي أحد الأسس الضرورية لنجاح التنمية الشاملة والمتوازنة في أي بلد من العالم، وأن هذا التماسك يشتد حبله ويتقوى متنه مع وحدة اللغة، ويضعف ويلين بقدر ما في المجتمع من تعدد لغوي يفتت جهده ويوهن عظمه ويهلل نسيجه، وإذا كانت كل لغة بمجتمع مهما كان صغيرا، فمعنى ذلك أن كل بلد يتكون من لغات عدة، هو بلد مكون من مجتمعات صغيرة متعددة، وكلما تكاثرت هذه المجتمعات أو المجموعات الصغيرة المنعزلة عن بعضها و كلما تضاعف عددها زادت العقبات، وأصبحت عملية التفاهم بينها صعبة ومعقدة، إلا بوجود خيوط ناظمة قوية وقواسم مشتركة ولاحمة بين مختلف مكوناته المجتمعية الثقافية والعرقية نقوم بذويب الاختلافات الموجودة بينها تدريجيا واللغة المشتركة هي أهم هذه الخيوط الناظمة والعصبات اللاحمة"[7].

من هذا المنطلق يتجلى لنا وبوضوح أهمية اللغة الجامعة على المجتمعات باعتبارها حقل وميدان تتحقق فيه الأهداف والغايات المرجوة من اللغة الجامعة، فهي الوسيلة والأداة، والإنسان باعتباره أصغر عنصر في المجتمع فهو المحرك والفاعل في التماسك الاجتماعي لتحقيق اللحمة اللغوية.

يحدد صالح بلعيد مجموعة من خصائص اللغة الجامعة يستمدها ويستنبطها من كتاب لغة الأمة ولغة الأمة[8]:

1. أن تكون اللغة الأكثر انتشارا من حيث الاستعمال والكثر تجذرا في وجدان المجتمع.
2. أن تكون حاملة للمعرفة أو مؤهلة لذلك أكثر من غيرها.
3. أن تكون ذات حمولة ثقافية ورمزية تاريخية وحضارية عميقة، وتجربة طويلة.
4. أن تكون الأكثر من بين اللغات المستعملة قدرة على مواجهة اللغات الأجنبية والوقوف في مواجهتها ندا للند.
5. أن تكون صالحة للتواصل بين اكبر عدد ممكن من أبناء الشعوب العربية الإسلامية لأن كل بلد عربي هو جزء لا يتجزأ ماض وحاضرا ومستقبلا من هذه الأمة.
6. أن تكون صالحة للاستعمال في التعليم والإدارة والاقتصاد والإعلام وكل مرافق الحياة العامة والخاصة.
7. أن تكون مؤهلة لتستعمل في تطويق المعرفة وانتاجها وتوليدها .
8. أن تكون بمثابة الأم الحاضنة للجميع والبيت المشترك الذي يسكنه الجميع، دونما إحساس أحد منهم بالتهميش أو النقص أو الإبعاد والتجاهل.

ب ـ مواكبة اللغة العربية لتحديات العصر:

إلى جانب كون صالح بلعيد أستاذا محاضرا بالجامعة كان يهتم كذلك بما يقدمه لطلابه وفق برنامجه الدراسي كما كان باحثا في علوم العربية على اختلافها، وجاعلا من العربية قضية وطنية على رأس القضايا التي تخدم الفرد والمجتمع في كل الجوانب الحياتية فهو في صراع بين ما يقدمه لطلابه وما يفتك بالغربية في شقها التاريخي والحضاري والواقعن ويلخص هذه المسيرة والهموم والإشكالات في بعض من كتبه حسب عنونتها (هموم لغوية)، وكتاب (النخبة والمشاريع) وكذا كتاب (الاهتمام بلغة الأمة)، وكان له بهذا الكتاب جائزة الإلكسو بالشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية عام 2017.

كان هم صالح بلعيد الأكبر ذلك التطور التكنولوجي الذي بقيت اللغة العربية حال الناظر لا حركة من هول ما رأى، فهي في تقهقر وتراجع في وظيفتها.

نظرا لظهور ذلك الزخم التكنولوجي على وسائل التواصل الاجتماعي بلغات أجنبية حلت محل العربية في وطنها خاصة اللغة الإنجليزية، حتى صار يطلق عليها اللغة الحية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل عن قصد قتل اللغة العربية واللغات الأخرى، فصارت تفرض نفسها بعلومها بما فيها "لغة العولمة أو الإنجليزية التي تعمل على فرض نفسها بعلمها، وتنشد في ذاتها، ويدفع من أجل تعلمها، وفي ذات الوقت تعمل على إذابة التنوعات بغرض الإلغاء والسيطرة والبقاء وشعارها العالمي لغة واحدة، نظام واحد، سياسة لغوية واحدة، وهذا هو أحد أهداف النظام العالمي الجديد، واللغة الفرنسية التي تعمل جاهدة على أن يكون لها موقع المنافسة، فتعمل على فرض نفسها على المستعمرات وتتحصن داخل المجتمعات، وتنفق عليها الدولة الفرنسية أموالا للتوسع خارج بلدها، وتخطب ود المتعلمين لها بالإضافة إلى اللغة الإسبانية التي تنال مواقع متقدمة في الشابكة والبعد الجغرافي ولغات أخرى لها مواقع وأقطاب في الانتاج والتخصص العلمي[9].

في هذه الحالة بالذات يستعمل صالح بلعيد مصطلح "**الإرهاب اللغوي**" وهذا لهيمنة اللغات الأجنبية على اللغة العربية والحل محلها، أو بعبارة أخرى حرمان اللغات الأم من أداء وظيفتها، وهو كذلك نوع من الإقصاء اللغوي بالمفهوم المعاصر، وأكثر هذه المجتمعات تضررا من هذا الامتداد هي المجتمعات العربية التي تعيش في ظل التبعية اللغوية، ويمارس عليها وعلى لغتها الحجر، فما العمل إذا؟[10].

هذه من بين أصعب وأحلك واعقد القضايا التي تصيب اللغات الوطنية في أوطانها، ما دفع صالح بلعيد إلى خلق سياسة بحثية دفاعية عن اللغة العربية لتقفي المشكلات وتحديد الأسباب واقتراح الحلول وهذا ما يتجلى لنا من خلال كتابه "**الاهتمام بلغة الأمة، العبرة من الفرنسيين**"، وبما أن المغرب العربي لا يزال يعاني مخلفات الاستعمار الفرنسي فإلى يومنا هذا لا تزال اللغة الفرنسية لغة الإدارة والطبقة المثقفة في المجتمع فعلى يدها القرار وتشريع القوانين التي تخدم العربية، وصارت الشرط الأساس والأول والأسمى في التوظيف فقد "باتت الفرنسية في البلاد المغاربية من تفتح وتشرع علانية وهذا في اشتراط اتقانها في التوظيف، وذلك موت غير معلن للغات الوطنية،

فنتجت عن ذلك وضعية استصغار اللغات الوطنية بفعل سكوت الدولة عن تصرفات ممثليها في الإدارة وعن تلك القرارات الرمزية باسم الدولة[11].

في هذا الإطار اقترح صالح بلعيد جملة من الحلول ربما قد يدفع بعجلة العربية إلى الأمام ومواكبة التطور التكنولوجي الحاصل وفرض نفسها على الساحة التواصلية الاجتماعية والعلمية وعبر كل وسائل الاتصال، وأكد بالدرجة الأولى على الإعلام لأنه الوسيلة الوحيدة التي تستخدم اللغة العربية الفصيحة على مدار اليوم ويمكنها دخول البيوت والمؤسسات والأماكن العمومية من خلال الإرسال على اختلاف أنواعه (سمعي أو بصري) وبرامجه، كما يقع على الطبقة العلمية والمؤسسات التربوية التعليمية تأطير العمل البيداغوجي وسن الطرق والسبل التي تسهل وتمكن المتعلم من الإقبال على العربية الفصحى كما يجب على المؤسسات الدينية من مساجد ومكاتب وزوايا الإشادة بالعربية وتعليم علومها وترسيخ مكانتها الوطنية في الناشئة، وخلال مطالعتنا لكتب صالح بلعيد الثلاثة السالفة الذكر نجدها تلخص هذه المشكلات بالذات وتقترح الحلول نفسها وتشترك فيها:

1. وسائل الإعلام.
2. المدرسة والتعليم.
3. النخبة والمشاريع.

1. وسائل الإعلام:

تحدثنا في عديد المرات ضمن ثنايا هذا البحث عن دور الإعلام في نشر ثقافة العربية الفصحى وكذا الدعوة إلى مواكبة التطور التكنولوجي، ولها الدور البارز في ذلك كما يراها صالح بلعيد، فلها دور ترسيخ الفكرة صوتا وصورة، صوتا من خلال تحسين وتقويم وتبيين النطق السليم للغة، وصورة من خلال الرسم والشكل الصوري للكلمات والحروف العربية وكذا الخط العربي، والدعوة كذلك من خلال وسائل الإعلام إلى مناشدة الرأي العام بالخطر الذي يحدق بالعربية، وما تعانيه من أمراض داخل المجتمع، واقراح الحلول والتقنيات التي من شأنها التوفيق بين الأطراف التي تخدم العربية" فلغة الصحافة كان لها الدور البارز في تطوير اللغة العربية بل كلن لها الفضل في إدخال هذه اللغة ضمن سياق تطور نوعي بما أضافته لها من اصطلاحات وتعابير ووسعت في نطاق استعمالها ساعية للتوسع في القياس لما يخدم وينمي الثروة اللغوية، مع تبني الجديد وفق ما لا يتعارض مع الأصول"[12].

وفي حديثه عن واقع لغة الإعلام يرى صالح بلعيد أنها لا ترقى إلى مصف اللغة الفصحى ولكنها مقبولة نوعا ما، لذا يدعوا مرار إلى تكوين الإعلاميين لغويا وتدريبهم على السلامة اللغوية أيا كان نوع البرامج التي يقدمونها لأنه كما قال الطفل الجزائري يقضي ما بين ست إلى ثمان ساعات في المؤسسة التربوية بينما يقضي أغلب وقته أمام وسائل الإعلام يرى ويسمع ويقلد كل شيء من ذلك، فنحن في هذه الحالة بين أمرين، لغة الأسرة والشارع، ولغة المدرسة والإعلام، فلابد من تكثيف الجهود لتهذيب اللغة العربية وتجسيد الفصحى، والعمل على التوفيق والتقريب بين العامية والفصحى في شكل لغة سلسة ميسرة، فالعاميات تقف حجر عثرة أمام تعليم

الفصحى وهذا أمر واقع لا مفر منه "ومع كل ما يقال عن العاميات، فإن الواقع المعاصر يستدعي الاهتمام بلغة العامة، وهي لغة الشارع وما يستعمل من ألفاظ في السوق والمصنع وفي الحقل عن طريق الاستعمال المهذب لما يسمح في هذه الميادين، لأنه بالوضع والاستعمال نصل ما بين اللغة والحياة وبالسماع نقرب بين العامية والفصحى، واللغة وضع واستعمال كما قال اللسانيون، هذه اللغة التي نجدها في الممارسات اللغوية للمجتمع العربي بكل أطيافه وخاصة لغة الفصحى ولغة المسرح ولغة الإعلام والاتصال ولغة الفنون التي تندفع في عصرنا اندفاعا كبيرا، ولاشك أن كل ذلك يعمل على ترقية الفصحى"[13].

يرى صالح بلعيد أن هناك مستوى لغوي إعلامي آخر يحول بين الفصحى والعامية، إلا أنه مستوى مقبول يحقق التواصل الإعلامي والاجتماعي كما هو تعليمي وقد " تعنى الفصحى المعاصرة في واقعها بمستوى لغوي يقف وسط بين الفصحى وبين العامية وبين لهجاتها المحلية المختلفة، وتكون بمثابة لغة مشتركة سليمة صائغة تجيدها الخاصة، ولا تعجز عنها العامة، وهي لغة تواصل وأساس تحقيق المزيد من الترابط الفكري والتماسك الحضاري"[14].

ويعتبر صالح بلعيد أن لكل محرر لغوي سواء منطوقا كان أو مكتوبا له ما يستند عليه كمعجم، فلغة الإعلام التي يعتبرها (لغة أهل المتاعب)، لأنها تستدعي حضور الكلمات وتنوع العبارات والدلالات وحسن التصرف فيها في الحين وفي ذات السياق حسب طبيعة المعلومة والحدث، فليست هي الكلمات والعبارات الدالة في الأفراح نفسها في الأقراح، فالدقة والسرعة في إيصال المعلومة لا يضمنها إلا الكفاية التواصلية والكفاءة المهنية التي يحدها القاموس اللغوي الذاتي للفرد الإعلامي، فالعمل كإعلامي "يتطلب الدقة في العمل، والسرعة في التحرير، سعيا لتحقيق المصداقية والسبق الصحفي أو الإعلامي"[15].

وقد لاحظنا أن أغلب مؤلفات صالح بلعيد لا تخلو من قضية لغة الإعلام في جميع جوانبها، سواء تعلق الأمر بتصحيح الخطاء اللغوية الشائعة حين الممارسة الإعلامية للغة أو بعد حين، والأجدر والأصح حسب صالح بلعيد تدارك الخطأ اللغوي في حينه أحسن من التغاضي عنه، فأمام هذا التنافس الذي تستدعيه السرعة في تحصيل الحوادث اللغوية، وبعض الخلخلات المخلة بالنظام اللغوي الجاري عليه العرف، لابد من تركيز استشعار لضبط ما ينشأ عن تلك السرعة من مخالفات لغوية"[16].

في الأخير يمكننا القول أن المؤسسة الإعلامية بكل وسائلها البشرية والمادية هي المخول الوحيد والأوحد بعد المؤسسات التربوية، التي يمكنها التنسيق فيما بينها لتحقيق التكوين اللغوي والتربوي المتكامل، إذ يمكن للجامعة والمعاهد المتخصصة في التكوين الإعلامي و المتخصصة في التكوين اللغوي أن تكون الكفاءات الإعلامية القادرة على إتقان اللغة العربية على المباشر ودون أي مجهودات أو تلعثمات تذكر، فالممارسة الوظيفية للغة على أكمل وجه تستدعي وتتطلب حفظ قواعدها اللغوية والاطلاع على البيان من اللغة، والتنويع في كلماتها على اختلاف دلالاتها كما لابد من مراعاة المناسبة والسياق اللغوي أو زمن الحدث، في هذه الحالة يمكن القول بقدرة

الإعلامي على ممارسة مهامه اللغوية بأريحية، ويمكنه الولوج إلى بيوت العامة فيتعلم منه العام والخاص، الكبير والصغير.

2.المنظومة التربوية:

تعتبر المدرسة الجزائرية حسب صالح بلعيد محطة من بين المحطات الأولى في تكوين النشأ على المقومات الوطنية وتأصيل الهوية والمواطنة في ذات المتعلم، كما أنها المحطة الأساس في تعليم اللغة العربية الفصحى، وتعتمد العملية التعليمية في الغالب على معلم ومتعلم والمادة المعرفية، يضيف صالح بلعيد عنصر آخر ويعده الحلقة الأساس في العملية التعليمية **وهو "المنهاج"**.

إن صناعة الأجيال وتدريبها وتعليمها وتكوينها على الفصاحة اللغوية وطلاقة اللسان لا تأتي إلا من خلال جودة التعليم الذي تضمنه الظروف الحسنة والمناهج والطرق والسبل المدروسة، وكذا توفير الهياكل القاعدية والمنشآت المخبرية والتكنولوجيا وتكوين المكونين وغيرها من الإجراءات التي من شأنها الدفع بعجلة العملية التعليمية إلى ما هو أنفع.

تعيش المدرسة الجزائرية إصلاحات تربوية في السنوات الأخيرة على جميع الأصعدة، سواء ما تعلق بالكتاب المدرسي وما شهده من حشو في المعلومات التي تفوق ذاكرة المتعلم في بعض الأحيان، أو ما تعلق بتكثيف الحجم الساعي الذي يفوق الست ساعات يوميا، وكل هذه الإصلاحات تعد فاشلة حسب صالح بلعيد لأنه يرى أن العلم يقاس بالقدرة على الاستيعاب مهما قل، فالكيفية في التعليم تضمن لنا الكمية، وهذا لا يكون إلا من خلال المتابعة بالتكوين والتدريب الميدانيين للمعلمين، وإعادة هيكلة برامج التدريس والحجم الساعي المقدم للطفل، كما يجب دراسة طريقة عرض المادة اللغوية حسب مستوى الطفل وقدرة تحمله للمعلومة، واللجوء إلى الاهتمام بالمنطوق السليم قبل المكتوب.

كما لا يمكن لمدرس العربية أن يدرسها ويعلمها وهو خالي الوفا من الشواهد والحجج والبراهين التي لابد عليه أن يستمدها ويكون على متاع بها من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الشعر العربي والمثال والحكم وما شابه، وعليه أن يمارس اللغة العربية ممارسة طبيعية، فيأخذ العربية أخذا عن طريق حفظ القرآن، واحتذاء مناويل الحديث الشريف، وحفظ الشعر القديم وسمت كلام الأولين"[17].

العملية التعليمية بصفة عامة لا تقتصر على مدرس اللغة العربية فحسبن وإنما تشمل جميع المدرسين في نفس الصف وعلى اختلاف تخصصاتهم العلمية والتعليمية، حيث يمكن لمدرس الرسم أن يساهم في تعليم رسم الحرف العربي، كما يمكن لمدرس الرياضات تعليم حساب المقاطع الصوتية وعدها، وهكذا دواليك فيجب خلق نوع من الكل المتكامل بين المعلمين والمتعلمين، ومحاصرة المادة العلمية بهذا التكامل، و"لأن العملية متكاملة فإنه لا يحصل الكمال اللغوي، إلا بتظافر جهود كل الأساتذة على أساس أن اللغة لا يمكن أن يستغني عنها أي مدرس"[18].

وفي حديثه عن المقررات الدراسية والمناهج التعليمية والتي تعتبر العمود الفقري وحجر الأساس في العملية التعليمية ككل لأنها توفق بين المعلم والمتعلم وتجعل التكيف مع الوضعيات التعليمية قائما حسب المستويات والأعمار والفئات.

في هذه النقطة بالذات يرى صالح بلعيد أنها (المقررات الدراسية) الركن الأساس وحلقة الوصل بين المعلم والمتعلم والمادة المعرفية، وهي أساس نجاح العملية التعليمية، أي من هنا تتحقق القدرة على توظيف وتطبيق المقررات الدراسية، وان تعتمد عناصره التي يعايشها التلميذ، ويشتق أهدافه العامة لخطط التعليم في المجتمع وسياسة التعليم، لأن الغاية من عليم اللغة في مراحل التعليم العام هو الواجب الوظيفي، فينبغي أن تسير المقررات على أساس هذه القاعدة"[19].

وفي حديثه عن الإصلاحات التربوية التي شهدها قطاع التربية في السنوات الأخيرة ـ كما سبق وذكرنا ـ يراها صالح بلعيد فاشلة بأتم معنى الكلمة، لأن الإصلاح حسبه ينطلق من القاعدة الأساس للعملية التعليمية أي من المسألة اللغوية التي تعد اللبنة والمادة الأولى للعملية التربوية ككل، فالإصلاح حسب صالح بلعيد سنة محمودة باعتبارها تساير التطور الحاصل في العالم ومسايرة التكنولوجيا والمعرفة العلمية فبلوغ الأفضل لا يكون إلا بالمتابعة الدائمة والتخطيط الجيد واتخاذ التدابير اللازمة في حينها، فهو قد يعني إلغاء القديم أو التجديد في بعض فروعه، وقد يعني الترميم الكلي أو الجزئي، ولا يكون الإصلاح إلا في حالة وجود فراغ أو تهلهل النظام التربوي، فيأتي ليسد الفراغ ويبني من جديد بناء متينا أحسن من القديم، ويبين عن مردودية فضلى لها صفات التميز"[20].

ويرجع هذا الفشل إلى جملة من الأسباب والهفوات حسب صالح بلعيد، منها نذكر[21]:

1. غموض خطاب الإصلاح.
2. عدم ربط التنمية المستدامة بالتنمية البشرية.
3. عدم الفصل في لغة التدريس.
4. استشراء الضعف اللغوي العام.
5. غياب الحديث عن تنويع لغات التعلم والبحث التربوي.
6. عدم إغماس التلميذ في المعلوماتية.
7. نقص تكوين مواطن بناء.
8. هجرة الكفاءات.
9. استيراد الأفكار والنظريات دون تكييف وربما دون فهم.
10. عدم فهم المقاربة بالكفاية كمقاربة أو طريقة تعليمية.
11. عدم تجسيد مهارة التعلم الذاتي.
12. تقديم تدريس الفرنسية إلى السنة الثانية.

13. تخفيف الحجم الساعي.
14. تكرار إعادة السنوات.

4.أهم المشاريع اللغوية التي تسعى النخبة لتحقيقها:

وهو عنوان لكتاب ألّفه صالح بلعيد من طبعتين، وقد سبق له أن تطرق إلى هذا الموضوع في مقال له "النخبة الجزائرية واللغة العربية ضمن كتابه "هموم لغوية"، وقد تحدث فيه عن دور الطبقة المثقفة من مختصين ورجال السياسة أصحاب القرار في خدمة اللغة العربية، وهذا من خلال ما تقدمه من تشخيص لمشكلات التعليم، واقتراحها للحلول وتكييفها وفق اللازم، هاته الفئة أطلق عليها صالح بلعيد لقب النخبة، "... خاصة تلك الفئات المثقفة، والتي لها دور التأثير في المجتمع وفي القرار السياسي، هذه الفئة المسماة **"النخبة"** والتي يجب أن تضع في وعيها خدمة الشأن العام"[22] والنخبة في الاصطلاح العام هي الطبقة المثقفة من المجتمع التي تكاتفت جهودها لخدمة الصالح العام وتتصف هذه الطبقة في الغالب بالعلم والثقافة وروح التشاور والاحترام من قبل الجميع، ويُعتمد عليها بالنظر إلى المستقبل، وهم أناس لهم من الثقافة ما يؤهلهم للاستشارة وطرح الأفكار، إذن النخبة هو إنسان مثقف، مفكر، مستشرف للمستقبل، آخذ العبر من الماضي، دارسا الظواهر الاجتماعية، محللا وناقدا، ومصححا مقترحا وحاملا الشأن العام، ومديرا المواقف الصعبة، وناسيا نفسه بإيثار غيره"[23].

فالتطور المعرفي والتكنولوجي الذي يشهده العالم، يملي على النخبة كطرف في المقدمة من تحليل الوضعيات واستصدار القرارات العلمية والتعليمية لمسايرة التطورات الحاصلة في مجال تعليم اللغة العربية واللغات الأجنبية ككل حتى، لأن إضفاء نوع من العلمية ربما يضمن النتائج المرجوة من التعليم في جميع مستوياته وتخصصاته، وهذا باتخاذ القرارات الجادة والتي تفي بالغرض المطلوب.

من هذا المنطلق يَعتبر صالح بلعيد النُّخبة الطرف الفعال وهو المخول اجتماعيا وثقافيا وسياسيا بالعمل على مجابهة المشكلات والعوائق في التعليم وكذا المخاطر التي تحدق باللغة العربية، فالوحدة اللغوية هي التي تؤمن الوحدة الوطنية حسب صالح بلعيد، لهذا حان الوقت لتطويرها وحمايتها، ويذكر صالح بلعيد بعض الشخصيات الأجنبية التي عملت ما في وسعا خادمة للغتها في أوطانها، وصار لها الاسم البارز لما قدمته على رفوف المكتبات من مؤلفات وأبحاث ومجلات، من بينهم نذكر **شكسبير** رائد اللغة الإنجليزية، **الأخوين كريم** اللذان أنشآ معجم الجامع لشمل الألمان في ألمانيا، **فولتير** في اللغة الفرنسية، **محمد مهاتير** عند الماليزيين وهو الذي ربط التنمية اللغوية بالتنمية البشرية، **وأليعازر بن يهودا** الذي استطاع في وقت وجيز إحياء اللغة العبرية، وجعلها لغة العلوم الدقيقة، وبكَته إسرائيل حين تُوفي بكاءً لم تبك به شخصية غيره"[24].

والسؤال المطروح والذي يتبادر إلى الأذهان دائما ويوجه في الغالب إلى النخبة أنفسهم وإلى الساسة من أهل القرار هو: هل النخبة الجزائرية تحمل قضية اللغة العربية؟[25].

وفي إجابته عن هذا السؤال يقول صالح بلعيد أن اللغة العربية قضية وطنية، وهي الرمز السري للوحدة الوطنية، فواجب على النخبة باعتبارها الحامي والمدافع في الصدارة عن اللغة العربية، فهي المخول الوحيد الذي له كل المؤهلات العلمية والفكرية لطرح الأفكار التي تخدم اللغة والمجتمع، وصناعة المشاريع الهادفة والبناءة التي تقوي اللغة العربية وتجعلها صامدة أمام اللغات الأجنبية الأخرى، وتتم هذه العملية بطرح هذه المشاريع على الهيئات العليا والمؤسسات اللغوية والمختصين في العلوم اللغوية، التي تعمل على دراستها من خلال تحديد اللجان التي تتولى المشروع، وكذا تحديد الأهداف المرجوة منه، كما توفر كل المتطلبات المادية والبشرية ومنهجة خطة معينة يسير عليها المشروع في مدة زمنية محددة لكي لا يقع التماطل والتقاعس ويُهمَل المشروع، بعد هذه الإجراءات يأتي الدور على صناع القرار من الساسة للموافقة على المشروع وتخصيص له ميزانية كافية للخروج به إلى بر الأمان وإنجاحه، وشعارهم في ذلك بوجه عام "نحن نطرح الأفكار، والسلطة تصنع القرار".

ومن بين المشاريع اللغوية أو الأفكار التي طرحتها النخبة الجزائرية نذكر: موسوعة الجزائر اللغوية، مشروع النهوض اللغوي، فهرسة المخطوطات بمنطقة زواوة، مشروع المعجم التاريخي، وغيرها من المشاريع التي ذكرها صالح بلعيد في كتابه "النخبة الوطنية والمشاريع"، سأتناول بعضا منها بالتحليل.

1.4 مشروع الموسوعة اللغوية الجزائرية:

وهو من بين الأفكار التي اقترحتها النخبة الجزائرية، حيث انطلقت الفكرة من مخبر الممارسات اللغوية الجزائرية الذي كان على رأسه صالح بلعيد بجامعة تيزي وزو عام 2014، حيث كانت الفكرة عبارة عن مبحث من بين مباحث كتابه النخبة الوطنية والمشاريع، وقد أعطاه الدراسة الشاملة والأوفى من خلال تحديد المفاهيم العامة لهذا المشروع وكذا الأهداف المرجوة أو المنتظرة منه، والخطط والمنهجيات والبنود التي يسير عليها هذا المشروع.

وقد حدد صالح بلعيد مفهوما عاما للموسوعة كمصطلح لغوي على أنها ربط الماضي بالحاضر، سواء ما تعلق بالتراث المادي أو المعنوي، وتعد الجزائر حسب صالح بلعيد من بين الدول العربية التي تفتقر إلى مثل هذه الأعمال الموسوعية الجماعية والنخبوية، غير أنها تشهد أعمالا فردية لباحثين وشخصيات علمية تكاد ترتقي إلى العمل الموسوعي في دقتها ودرجة تحليلها للقضية اللغوية، وهذا ما نلمسه في أغلب المؤلفات الثقافية أو المحاضر التاريخية في هذا الشأن، ومن بين هذه الشخصيات نذكر: **الحفناوي** في كتابه (الخلف برجال السلف)، **أبو القاسم سعد الله** في كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) في عدة أجزاء، ونضيف إليها في هذا المقام معلمة الجزائر **لشرفي عاشور**"[26].

بما أن الموسوعة هي وسيلة من بين الوسائل التي يتحقق فيها ربط الماضي بالحاضر أو التراث بالأصالة والتجديد، فقد اعتبر صالح بلعيد أن " إنجاز الموسوعة بعيد عن النضج العقلي والقدم العلمي، والتمتع بوعي رشيد لا يخلو من تجرد (الأنا) الحاضر تفكيرا في الآخر (الغائب)، وليس قياس الحاضر على الماضي بطريقة تقليدية، بل

هو البحث عن الذات الوطنية عبر تكونها في التاريخ، لتجيب عن أسئلة الهوية والثقافة وأسئلة الماضي في الحاضر"[27].

كما دعا صالح بلعيد إلى الاهتمام بأعلامنا القدماء ممن قدموا للغة العربية والثقافة الوطنية كل وقتهم وجهودهم، وخلدوا أسماءهم بأحرف من ذهب، فلابد ههنا أن نراعي ما قدمه السلف لمن جاء بعدهم من الخلف، فقال داعيا:" فحان موعدها، وهذا بالدعوة إلى (إنشاء موسوعة الجزائر) التي تجيب عن كل أسئلة الماضي والحاضر وتفتح آفاق البحث الموسوعي، في صورة تسجيل كل الأحداث مهما كانت صورتها، وهي عبارة عن تصالح الجزائري مع ثقافته وتاريخه، واستنطاق تلك الأحداث بصورة معاصرة رغم ما حصل من تأخير في تدوين تلك الأمور، ولا نقول إنه آن الأوان لهذا العمل أن يبدأ، بقدر ما نقول: إننا سجلنا تأخرا كبيرا في عدم تدوين معلمتنا التي تؤرخ للجزائر، وتكون مصدرا لكل بياناتنا، وثقافتنا، وحضارتنا، وجوانبنا العامة والخاصة، ومتعلقات أحوالنا"[28].

وفعلا قد تحقق تجسيد مشروع موسوعة الجزائر عام 2016، لما تقلد صالح بلعيد رئاسة المجلس الأعلى للغة العربية، فأوكل المهمة لمجموعة من الباحثين الأكفاء المتطوعين والغيورين على لغتهم العربية، وقد تكون بوادر أولى الأعداد المعدة للنشر مطلع العشرينيات بعد الألفين.

التعايش اللغوي كما يراه صالح بلعيد:

1.تعريف التعايش اللغوي[29]:

جذره (ع.ي.ش)، فعل ثلاثي لازم، ومنه عاش، تعايش، يتعايش، تعايشا، فهو متعايش، والمعايشة: على الألفة والمودة، ونقول تعايش الناس: إذ وُجدُوا في نفس الزمان والمكان، والتعايش السلمي: هو التفاهم والتلاؤم بين أطراف المجتمع أو الشعوب رغم اختلافهم في اللغة والدين والمذهب، ويُنافي التعايش حال الحروب والعنف، ويُراد به كذلك عيش النظمة السياسية جنبا إلى جنب بسلام مع احتفاظ كل منها بطبيعته وعقيدته، فالتعايش بصفة عامة هو الإئتلاف رغم الاختلاف.

2.مدخل حول التعايش اللغوي في الجزائر:

يشهد الواقع اللغوي في الجزائر نوعا من التعدد اللهجي، الذي أثر سلبا على اللغة العربية وعلى الفصاحة في وسائل الإعلام والمنظومة التربوية وجميع مؤسسات التعليم، وكما سبق وذكرنا كان للمستعمر الفرنسي يدا في ذلك، رغبة منه في إلهاء الشعوب عن التحرر وكذلك طمسا للهوية الوطنية وخلق الصراع العربي الأمازيغي والدعوة إلى التعصب اللغوي، فصار المازيغيون ينادون ويطالبون بترسيم المازيغية كلغة رسمية ثانية بعد العربية.

3.كيف ظهر التعصب اللغوي بين العرب والأمازيغ؟:

خلال الفترة الاستعمارية سعت فرنسا إلى استعمال جميع الوسائل والطرق لتشتيت الشعب الجزائري وخلق العداوة بينهم لإبعادهم عن التفكير في التحرر، فبدأت الحديث عن الأمازيغية، وتدعوا أبناء القبائل إلى النهوض

بلغتهم وثقافتهم وساندتهم في ذلك، لأنها تعلم أن اللغة هي الشريان الأكبر للحمة الوطنية والأمم، وفي الغالب تُعرَف الجنسيات من اللغات، وعلى هذا المبدأ اعتمد بسمارك موحد ألمانيا عام 1870، حيث أراد حل مشكلة الألزاس واللورين بين فرنسا وألمانيا، وهكذا فإن فرنسا أرادت خلق شعبين في الجزائر عرب وأمازيغ ثم تعمل على تصارعهما معا ليدمرا بعضهما البعض وهي تتفرج ويفشل الشعب الجزائري في ثورته وهذه سياسة "فرق تسد"، وهذا ما نلاحظه في دول المشرق العربي، فقد نجح الغرب وإسرائيل في تقسيمها إلى أجزاء قومية ودينية ومذهبية لتجعل من هذه الطوائف والقبائل دولا متصارعة أولا، همها الوحيد فرض الهيمنة على بعضها البعض، ولا تشكل خطرا على الصهاينة في فلسطين ولا على السياسات الغربية في المنطقة، وقد انبثقت هذه الفكرة عن مؤتمر كامبل الذي عقد في لندن 1905م ـ **1907**م، وإذا تأملنا تركيبة المازيغية فهي عبارة عن خليط من اللهجات اليمنية المتعددة وللاطلاع على هذا الموضوع يمكن العودة الى كتاب: *حول عروبة البربر* لمؤلفه **سعيد بن عبدالله الدارودي** من سلطنة عُمان، وستجدون في آخر الكتاب جدولا بالحروف الأمازيغية يقابلها قائمة بحروف ولاية ظفار من سلطنة عُمان، هي صورة طبق الأصل عن الحروف الأمازيغية أو العكس، لا غرابة فالأمازيغ جاءوا من اليمن وما زالت قبائل البربر معروفة في اليمن مثل كتامة وصنهاجة بل أن اسم **أمقران** هو اسم يمني معروف.

فالأمازيغي الحر هو الذي يحافظ على كل مقوم للهوية الوطنية، ويتصدى لذلك الغزو الفكري الذي يصيب اللغة قبل كل شيء، وقد أثبتت التحريات أن المنادين بالأمازيغية هم من أتباع فرنسا وحمَلَة الثقافة الفرنسية، لاتهمهم الأمازيغية كلغة قدر مايهمهم إرضاء فرنسا التي تسعى إلى الإطاحة باللغة العربية والدين الإسلامي، كان جيش طارق بن زياد مكونا من اثنا عشرة ألفا عنصرا أمازيغيا ، وستة آلاف عربي ولم يقل يوما أمازيغي وعربي، ولم تكن هناك خصومة بين الطرفين، فالعنصرية والتعصب اللغوي لايخدمان إلا أعداء اللغة العربية والدين.

تعد الأمازيغية لسانا عربيا جزائريا، وهي من بين المقومات الأساسية في المجتمع الجزائري، إلى جانب الإسلام والعروبة وهي المثل الأعلى للهوية الوطنية، وأحد الأسس البناءة للحضارة، فهي لون من ألوان الثقافة الجزائرية والعربية، وهي لسان مضاف إلى اللسان الجزائري بعيدا عن الشحناء والجهوية والبغضاء التي هزت كيان المجتمع الجزائري ودعت إلى الجهوية والتفرقة، في هذا الصدد يقول صالح بلعيد:" نحن الأمازيغ الشعب الذي ينشد الحرية منذ وجوده على الأرض، وقد شحنته مختلف الأزمات بالثورات ضد الظلم، وثرنا على المستعمر الروماني والوندالي والفينيقي، والبيزنطي، وقاومنا العرب ثم رضينا بالإسلام دينا، وباللسان العربي لسانا... كما أن الإسلام لم ينكر ما أثبته التاريخ بأن الأصل أصل، والفرع فرع، والإسلام هو الذي علمنا التمسك بالإنيّة التي تعطي مستوى الندية"[30].

يعكف صالح بلعيد على معالجة مثل هكذا قضايا لغوية بعيدا عن الذاتية والعاطفة وهي شيم الباحث الكفء، رغم كونه ابن البويرة وهي منطقة من مناطق القبائل، لسانهم أمازيغي حر، فهي لغة المنشأ والمولد

والأمومة والصبا، فينبغي على الباحث مراعاة موضوع البحث العلمي شروطه ومنهجياته، صالح بلعيد احترم كل المقاييس كي يصل إلى بيت القصيد وكله ثقة فيما يبحث، فإن البحث في هذا المجال كان شغلنا منذ مدة بغية العمل على ترقية تراث هذه اللغة. والترقية هو العمل العلمي الهام الذي يخدم اللغات، فالحبّ وحده لا يكفي لحماية اللغة، فلا بد من سلاح الحماية، وهو البحث والدُّربة، وإجادة الاستعمال والعمل على التطور، وهذا كله لا يكون بالعَجَل، لأن العجل تارة يؤدي إلى الزلل، ولا يكون بالتعصب، لأن التعصب باب من أبواب الفتنة"[31]، هذا ما ورد على لسان صالح بلعيد في أولى صفحات كتابه الذي تناول فيه المسألة اللغوية.

4.التعايش بين العربية والأمازيغية كما يراه صالح بلعيد:

يعترف بلعيد صالح بكون العربية والأمازيغية لغتان وطنيتان تساهم بشكل أو بآخر في تعزيز الهوية الوطنية، كما يراهما لغة المنشأ، حتى صار يتدارس بهما الفقه، إلا أنه وكما يقول صالح بلعيد " إني أعشقها"، كيف لا؟، وهي لغة القرآن الكريم، ولغة المدرسة والجامعة، وهي التي خُصص لها مجلس أعلى بالدولة، ومعاهد وكليات ومدارس عليا ومشاريع ماجستير ودكتوراه في ربوع الوطن، يقول صالح بلعيد كيف لا أدرسها وهي لغة القرآن وبها حصلت على شهادات عليا على يد المرحوم حاج صالح، وأدرسها لطلابي، وبها أحرر مقالاتي و مؤلفاتي، ونلت بها الجوائز الوطنية والدولية، منها جائزة الأليكسو- الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية في دورتها الأولى عام2017، وهذا من خلال كتابه (الاهتمام بلغة الأمة: العبرة من الفرنسيين)، وهو كتاب كما سبق وذكرنا أن ألفه عام 2016 عن مخبر الممارسات اللغوية.

أما الأمازيغية فهي لغة الصبا والمنشأ، وهي لغة الطفولة والمجتمع والمحيط الذي ترعرع ويقطن فيه، فهو يراها اللغة الثانية في الجزائر منذ التعديل الدستوري الذي أجري في مارس 2016، لقد خصها صالح بلعيد بمجموعة من المؤلفات والمقالات منها نذكر:

* المازيغيات.
* هموم لغوية.
* هل تشتعل حرب الحروف.
*المازيغية في خطر.

5.البعد التاريخي لتعايش العربية والمازيغية حسب صالح بلعيد:

يعد المنهج التاريخي منهجا مناسبا للعودة للأصول في أي قضية علمية، كما يوافق المنهج الدياكروني دراسة التطور التاريخي للغة، وهو منهج يؤرخ لتطور اللغة خلال مراحل مختلفة عبر العصور، والتتبع الدقيق لتطور عناصر اللغة ومكوناتها الصوتية والصرفية والاشتقاقية"[32]، فالمتتبع لتاريخ الجزائر وتراثها الأدبي يكتشف أن العرب من سكان شبه الجزيرة العربية، ويعود أصلهم إلى سام بن نوح تحديدا، تكلموا العربية وكانوا يتقنونها بيانا وفصاحة، خاصة بعد نزول القرآن الكريم بلسان عربي، وخلال انتشار الإسلام واتساع رقعته من خلال الفتوحات

الإسلامية، حدث احتكاك بين العرب والبربر (المازيغيون) الذين ينتسبون إلى العرق الحامي، فتدينوا بدين الإسلام وتعلموا العربية لقراءة القرآن وعلومه، فظهر ذلك التعايش بين العرب والأمازيغ، فاللغة العربية بهذه الصفة هي القاسم المشترك بين العرب والبربر، فبها دُون تاريخ الشعبين حيث جمعهم بلد واحد، ودين واحد، فوجب العمل على قدم وساق ـ كما قال صالح بلعيد ـ وإعداد مشروع يكفل التخطيط الجيد للحفاظ على اللغة العربية كلغة رسمية أولى في الجزائر، وعلى المازيغية كلغة ثانية باعتبارها مقوما من مقومات الهوية الوطنية، فالعربية لها تاريخها ويمكننا العودة بها إلى جذورها في أعماق التاريخ، ومادامت تحمل تاريخا حضاريا كبيرا، فلا يمكن تجاهلها وتركها تضيع، فبضياعها يضيع الإرث الذي يشترك فيه كل الجزائريين بما تحمله من معرفة وثقافة، وهي أيضا إحدى الرموز اللغوية والثقافية، والحضارية للشخصية الوطنية وبهذا فالاهتمام بها مسؤولية وطنية، والنهوض بها ركيزة في مشروع المجتمع الديمقراطي الحداثي التي تتطلع إليه الدول المغاربية"[33].

خاتمة:

لا بأس أن نختم هذه الورقة البحثية بإطلالة عن الهدف والغاية المرجوة من المواطنة والتعايش اللغويين، حيث يطلق صالح بلعيد مصطلح الأمن اللغوي، فماذا كان يعني به، وما هو واقع التعايش اللغوي اليوم؟.

الأمن اللغوي: لقد أضاف صالح بلعيد مصطلح **"اللغة"** إلى مصطلح **"الأمن"**، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن اللغة تعيش نوعا من الحرب اللغوية فهي تعاني ضريراتها من اللغات الأخرى، لقد أصابها التكسير واللحن والفساد نطقا وكتابة، فالانحطاط والطفرة الثقافية التي جعلت من الثقافة الغربية وجها من أوجه التطور والازدهار على حساب مقومات الدين الإسلامي، ومما زاد الطين بلة الاستعمار الذي فرض ثقافته على العرب والمسلمين وحارب معتقداتهم وطمس الهوية الوطنية، ومنع تعليم اللغة العربية ومحاربتها باعتبارها لغة كلاسيكية، فهي إلى يومنا هذا ـ حسب زعم الغرب ـ لا تفي بالغرض ولا تواكب التطور التكنولوجي والعصري، وهي لغة القواميس والمعاجم والمؤلفات لا لغة المجتمعات والملتقيات والأبحاث العلمية، وهي ليست لغة الشارع حتى، فمن يتكلمها يعد قديم العهد بها، فهذا التعدد اللهجي المنبثق عن اللغة العربية الفصحى تعلمته الأجيال كابر عن كابر، واعتبر الجميع اللغة العربية الفصحى لغة صعبة الفهم ومستعصية المنال والفهم ولا يمكن للعقل البشري استيعابها كتابة ونطقا، وصار الاعتقاد أن الانسان لا يفكر إلا بلغة أمومته(اللهجة التي اكتسبها بالفطرة في وسطه الاجتماعي)، كل هذا هدفه واضح وبائن بينونة كبرى، الغرض منه القضاء على اللغة العربية وتكسيرها وخلق نوع من الهجين اللغوي من العربية واللغات واللهجات الأخرى، وتغليب اللهجات والتشهير لها على حساب العربية، وجعلها مستعمل منطوق جار على الألسن، فلكل منطقة من مناطق الوطن لهجتها الخاصة بها، والتي تميزها عن غيرها من المناطق، ونفس الحال بالنسبة للوحدة العربية إذ نجد لكل دولة من الدول العربية لغتها الخاصة بها، والتي اكتسبتها على سليقتها، وتولدت عنها هي الأخرى عدة لهجات حسب القبائل والطوائف التي تقطنها.

تصف الدول الغربية الناشرين العرب بأنهم إسلاميون متطرفون، وقد ترعرعت مثل هذه السياسات في الوطن العربي، وخير دليل على ذلك دعاة ترسيم الواقع اللغوي رغم تعدد اللهجات وحدوث تشويه في اللغة العربية الفصحى، كما دعوا إلى التمييز بين عربية المشارقة والتقعيد لها، ونفس الشيء بالنسبة لعربية المغاربة كما يزعمون.

مكتبة البحث:

1. شعر عبد الحميد بن باديس (1889-1940).
2. صالح بلعيد: الاهتمام بلغة الأمة، العبرة من الفرنسيين، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2016.
3. صالح بلعيد: اللغة الجامعة ، ط1، الجزائر 2015، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر.
4. صالح بلعيد: اللغة العربية بعد خمين سنة من الاستقلال، والبرلماني واللغة العربية. عبارة عن مقالات علمية (بتصرف).
5. صالح بلعيد: النخبة الوطنية والمشاريع، ط2، الجزائر، 2014، مخبر الممارسات اللغوية الجزائرية.
6. صالح بلعيد: النخبة والمشاريع الوطنية: ط1، الجزائر، 2013، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر.
7. صالح بلعيد: رأي في تدبير المازيغية لغة رسمية ثانية، د ط، الجزائر، دار الخلدونية، 2018.
8. صالح بلعيد: ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية: جامعة تيزي وزو نموذجا، دط، الجزائر، 2013، دار هومة.
9. صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغية، ط2، الجزائر، دت، دار هومة.
10. صالح بلعيد: هموم لغوية، الجزائر: منشورات مختبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، بجامعة تيزي- وزو، 2012.
11. صالح بلعيد: هموم لغوية، ط1، الجزائر، 2012، منشوات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر.
12. عبد العلي الودغيري: لغة الأمة ولغة الأم، عن واقع اللغة العربية، في بيئتها الاجتماعية والثقافية، نقلا عن: صالح بلعيد اللغة الجامعة.
13. مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، ط1، بيروت، 2010، دار الكتاب الجديد المتحدة.
14. معجم الغني ومعجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (و.ط.ن).
15. من معجم المعاني الجامع، ومعجم اللغة العربية المعاصرة. ومعجم الغني.(بتصرف).

الهوامش:

[1] معجم الغني ومعجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (و.ط.ن)، بتصرف.

[2] صالح بلعيد: اللغة الجامعة ، ط1، الجزائر 2015، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ص246.

[3] من شعر عبد الحميد بن باديس (1889-1940).

[4] صالح بلعيد: اللغة الجامعة، ص11.

[5] المرجع السابق: ص11.

[6] صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغية، ط2، الجزائر، دت، دار هومة، ص183-181.

[7] عبد العلي الودغيري: لغة الأمة ولغة الأم، عن واقع اللغة العربية، في بيئتها الاجتماعية والثقافية، ص30.29، نقلا عن : صالح بلعيد، اللغة الجامعة، ص233.

[8] عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص237.236. صالح بلعيد: هموم لغوية، ط1، الجزائر، 2012، منشوات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ص29.

[9] المرجع نفسه: ص29.

[10] صالح بلعيد: الاهتمام بلغة الأمة، العبرة من الفرنسيين، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، 2016، ص205.
[11] صالح بلعيد: هموم لغوية: ص176-177.
[12] المرجع نفسه: ص212.
[13] المرجع نفسه: ص218.
[14] صالح بلعيد: هموم لغوية، الجزائر: منشورات مختبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، بجامعة تيزي- وزو، 2012 ص191.
[15] المرجع نفسه: ص159.
[16] صالح بلعيد: ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية: جامعة تيزي وزو نموذجا، دط، الجزائر، 2013، دار هومة، ص20.
[17] المرجع نفسه: ص20.
[18] المرجع نفسه: ص20.21.
[19] صالح بلعيد: النخبة والمشاريع الوطنية: ط1، الجزائر، 2013، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ص70.
[20] المرجع نفسه: ص73-95.
[21] المرجع نفسه: ص191.
[22] المرجع السابق: ص215.
[23] صالح بلعيد: هموم لغوية، ص57.
[24] صالح بلعيد: هموم لغوية، ص59.
[25] المرجع نفسه: ص59.
[26] صالح بلعيد: النخبة الوطنية والمشاريع، ط2، الجزائر، 2014، مخبر الممارسات اللغوية الجزائرية، ص194.
[27] المرجع نفسه: ص197،200.
[28] المرجع السابق: ص197.
[29] من معجم المعاني الجامع، ومعجم اللغة العربية المعاصرة. ومعجم الغني.(بتصرف)
[30] صالح بلعيد: اللغة العربية بعد خمين سنة من الاستقلال، والبرلماني واللغة العربية. عبارة عن مقالات علمية (بتصرف).
[31] المرجع: ص191.
[32] مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، ط1، بيروت، 2010، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص170.
[33] صالح بلعيد: رأي في تدبير المازيغية لغة رسمية ثانية، د ط، الجزائر، دار الخلدونية، 2018، ص22.